62 - السيدة قُتَيلَةُ بنت النَّضر

اسمها قُتَيْلَةُ، والدها النَّضْرُ بن الحارث، كانت واحدة من شواعر العرب المجيدات، ولا سيما في فن الرثاء، وشعرها فصيحٌ رصين، وكانت تتمتَّع بذكاء نادرٍ، وجمال ساحرٍ أخَّاذٍ.

وقد جعل والدها النضر من نفسه عدوّاً شرساً للرسول ﷺ، وتمادى في إيذائه، وإيذاء المسلمين، وقد وقف على هذه العداوة نفسه، وآلى على محاربة الإسلام دون هوادة.

ولما كان يوم بدر، خرج النضر بن الحارث مع قريش لقتال المسلمين مصرّاً على كفره وحقدِه الدفين، وفي بدر التقى جيش المسلمين الصغير بجيش قريش الكبير، وبدأت المعركة بمبارزة تصدَّى لها ثلاثة فرسان من قريش هم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة وطلبوا من يبارزهم من المسلمين، فخرج لهم ثلاثة من أبطال الإسلام: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وقتل حمزة صاحبه شيبة، وقتل عليٌّ الوليد، وتبادل عبيدة وعتبة ضربتين فسقط كلاهما جريحين، وبادر حمزة وعلي إلى عتبة فذفَّفا[1] عليه، ثم حملا أخاهما عبيدة إلى معسكر المسلمين، وقد فقد إحدى ساقيه، ومنح الله لرسوله ﷺ نصره الذي وعد، وألقى الذلَّة والهوان على من كفر وجحد.

وفقدت قريش يومئذٍ سبعين قتيلاً، وأُسِرَ لها سبعون، وكان بين الأسرى عدوًّا الله عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، فأمر رسول الله ﷺ عاصم بن ثابت بقتل عقبة فضرب عنقه، فلما وصل

(1) ذفَّف عليه: أجهز عليه.

الصفراء، وهي على مقربة من بدر أمر علي بن أبي طالب بقتل النضر بالأثيل على مقربة من المدينة، فقتله.

ولما علمت قُتَيْلَةُ بنت النضر بمقتل والدها، اعترضت رسول الله ﷺ في طوافه، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه، وقالت:

يـا رَاكِـبـاً إنَّ الأَثِـيـلَ مَـظِـنَّـةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْـلِغْ بِـهِ مَـيْـتـاً بـأن تَـحِـيَّـةً مَا إنْ تَزالُ بِهَا الرّكَائِبُ تَخْفِقُ
مِـنِّـي إلَيْـهِ وَعَـبْـرةٌ مَـسْـفُـوحـةٌ جَادَتْ لَمِائِحَها وَأُخْرَى تَخْنِقُ
فَـلْيَـسْـمَـعَـنَّ الـنَّـضْـرُ إنْ نَـادَيْـتُـهُ إنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيْهِ تَنُوشُهُ لله أرْحَـامٌ هُـنَـاك تُـشَـقَّـقُ
قَسْراً يُقادُ إلى المَنِيَّةِ مُتْعَباً رَسْفَ المُقَيَّدِ وَهْوَ عَانٍ مُوَثَّقُ
أمُحَمَّدٌ، ولأنْتَ نَجْلُ نَجِيْبَةٍ مِنْ قَومِهَا والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الفَتَى وَهْوَ المَغِيْظُ المُحْنَقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَضبت وَسِيلَةً وَأَحَقُّهُمْ إنْ كان عِتْقٌ يُعْتَقُ
لـو كُـنْـتَ قـابِـل فِـدْيَـةٍ لَفَـدَيـتُـهُ بأَعَزِّ مَا يُفْدَى به مَنْ تُنْفِقُ

فلما سمع رسول الله ﷺ قولها بكى، وقال: «**لَوْ بَلَغَنِي شِعْرُهَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا قَتَلْتُهُ**».

وبعد هنيهة من الزمن أسلمت قُتَيْلَةُ، وباتت مُحبَّة لله ولرسوله ﷺ، ثم مدحت النبي ﷺ بقصيدةٍ أولها:

الوَاهِبُ الأَلْفَ لا يَبْغِي بِهَا بَدَلًا إلاَّ الإِلَهَ وَمَعْرُوفاً بِمَا اصْطَنَعَا

واجتهدت في عبادتها حتى غدت من رواة حديث النبي ﷺ، فلما كانت سنة عشرين للهجرة وافتها المنية، رحمها الله تعالى.